بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عباد الله المخلصين لا سيما محمد وآله الطيبين الطاهرين

بمناسبة أيام ميلاد أمير المؤمنين سلام الله عليه[1] أحاول أن أقول شيئا وأرجو أن الله تبارك وتعالى يجعل فيه الفائدة

قبل الحديث أقرأ دعاء يروى عن أمير المؤمنين (ع) (اللهم إنك آنس الآنسين لأوليائك، وأحضرهم بالكفاية للمتوكلين عليك، تشاهدهم في سرائرهم، وتطلع عليهم في ضمائرهم، وتعلم مبلغ بصائرهم، فأسرارهم لك مكشوفة، وقلوبهم إليك ملهوفة، إن أوحشتهم الغربة آنسهم ذكرك، وإن صُبت عليهم المصائب لجأوا إلى الاستجارة بك، علما بأن أزمّة الأمور بيدك ومصادرها عن قضائك)[2]

ولاية الأئمة (ع) معرفتها أساسية في الدين، ولا يقبل الله تبارك وتعالى عملا إلا بولايتهم، ولاية الأئمة مرتبطة بولاية رسول الله (ص) ومعنى أن الله تبارك وتعالى لا يقبل عملا إلا بولايتهم معنى ذلك أن الإنسان لا يستطيع أن يتحرك إلى الله ويتقرب إليه بصورة صحيحة إلا عن طريق توليهم (ع)، فالمسألة ليست عبثية لأن كل شيء عند الله بمقدار

رواية صحيحة السند مذكورة في الكافي عن زرارة، أذكر المقطع الأخير منها: (...ثم قال ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه وباب الأشياء ورضى الرحمن الطاعة للإمام بعد معرفته إن الله عز وجل يقول "مَنْ يُطِعْ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا" أما لو أن رجلا قام ليله وصام نهاره وتصدق بجميع ماله وحج جميع دهره ولم يعرف ولاية ولي الله فيواليه ويكون جميع أعماله بدلالته إليه ما كان له على الله جل وعز حق في ثوابه ولا كان من أهل الإيمان)[3]، يعني كل هذه الأعمال لا تكون في سبيل الله، لأن العمل متى يكون في سبيل الله؟ متى يكون تقربا إلى الله تبارك وتعالى؟ إذا كان العمل ضمن اتجاه الولاية، يعني في الاتجاه الذي لا يُعرف إلا عن طريق اتباع سنة رسول الله وولاية رسول الله (ص) وولاية الأئمة (ع) المتجسدة في ولاية أمير المؤمنين (ع)

كل إنسان –بدرجة– يحاسب نفسه، في الإسلام كذلك يوجد حث على محاسبة النفس، محاسبة النفس من معانيها أنه أين أنا؟ الإنسان يتساءل أين أنا، أين اتجاهي، أين خلفي، أين يميني، أين يساري؟ لكل إنسان وجهة لا

---

(1) تحدث به السيد محمد علي الباقري حفظه الله في ظهر يوم الجمعة بتاريخ ٢٢ رجب ١٤١٣هـ الموافق ١٩٩٣/١٢/٣١م، وقد تطوّع بعض الأشخاص بطباعته مع شيء من التصرف نتيجة تحويل الحديث من مسموع إلى مقروء وقد لا يخلو من أخطاء غير مقصودة

(2) نهج البلاغة (الخطبة ٢٢٧)

(3) الكافي (١٨/٢)

في الواقع الخارجي وإنما في داخل نفسه، فيجتنب أشياء ويدير ظهره لها ويجعل أشياء أخرى أمامه، فهو يحاسب هذه الوجهة هل هي صحيحة؟

أريد أن أذكرك وأنبهك وأحاول أن أتكلم بطريقة تثير تفكيرك أحاول أن لا أثير عواطفك وأحاسيسك، إثارة العواطف والأحاسيس جيدة بشرط أن تكون ضمن إطارها الصحيح والإطار لا يمكن أن يحصل إلا بالتعقل والتفكر، أريد أن أنبهكم إلى مسألة، هذه المسألة واضحة لكن في كثير من الأحيان الإنسان يغفل عن الأمور الواضحة وهو بحاجة إلى أن يُذكّر بها

الطفل في بداية الأمر فقط يتألم ويتأذى، إلى أن يصل بالتدريج إلى مرحلة حينما يتألم يتمنى يا ليت أن هذا المؤلم لا يؤلمه، يتمنى يا ليته يشبع إذا كان جائعا، بالتدريج يحصل في ذهن الطفل حينما يكبر ينمو تصور عن الشيء البديل، يعني هذا الشيء يؤلمه هو يصل إلى مرحلة يتصور يا ليته لم يكن، بعض الأحيان الطفل في بدايات أمره حينما يستطيع أن يتكلم –نفترض عمره ثلاث سنوات أو أكثر– فحينما يتأذى من أمه يقول لها لا أحبك فيا ليتك ما كنت أمي، إذا الأم تسأله من تريد أن تكون أمك فيقول فلانة مثلا، يبدأ يتصور البديل يعني يجد لهذا العالم الذي هو يعيشه عالما بديلا، هذا العالم البديل مرتبط بشهواته كطفل، يشتهي شيئا فيتمناه ويتصوره، بالتدريج ينمو ويكبر، ينمو فيه العقل يصبح لديه أمور يعتبرها مبادئ، تارة هذا الإنسان يُستضعف وتُملى عليه مبادئ ضالة وهو يتصورها مهتدية، وفي بعض الأحيان الإنسان هو بنفسه يتعقل الأمور ويصبح صاحب مبادئ، هناك أشياء تحصل في ذهنه، شيء يؤلمه يشتهي –بشكل طبيعي– أن لا يؤلمه، فهو يتصور البديل عالم بلا شيء مؤلم، كالطفل شخص يؤذيه فهو يتأذى منه، بغريزته يشتهي عدم وجود هذا الشخص، إذا سُئل ماذا تريد ماذا تأمل ماذا تتمنى؟ يقول أن هذا ينعدم ويزول هذا لا يكون في العالم، والشيء الثاني الذي يحصل هو أن الشخص يتصور البديل وفق المقاييس العامة بلا تعقّل، والشيء الثالث الذي يحصل للإنسان العاقل هو أن المبادئ هي التي تصنع ذلك العالم البديل لا الشهوة، وأن يربط الأمور بعضها ببعض وفق تلك المبادئ

أمير المؤمنين (ع) في أواخر حياته الشريفة حينما كان يشعر بالغربة الشديدة جدا، وحصل ما حصل في صفين، وحصل ما حصل في داخل الكوفة فالخوارج قاموا ضده وكانوا يؤذونه، مثلا حينما كان يتحدث كانوا يُحكّمون – يعني يقولون لا حكم إلا لله– فهذا كان يؤذي أمير المؤمنين (ع) –المعصوم يتأذى– كان يشتهي أن هؤلاء يزولون، بعض المتدينين الجاهلين يتصورون أن الأئمة (ع) يتصرفون وفق ما يشتهون، مثلا الإمام دعا على شخص وهذا فورا مات، هذه شهوة، أما الذي ينقل عن أمير المؤمنين (ع) هو أنه كان يقول (كلمة حق أريد بها باطل أما إن لكم

عندنا ثلاثا ما صحبتمونا لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه ولا نمنعكم الفيء ما دامت أيديكم مع أيدينا ولا نقاتلكم حتى تبدأونا)[٤]، هذا مبدأ، عالم فيه المنغّصات لكن المبادئ هي التي تشكل العالم البديل

راجع نفسك، هذه الأشياء الثلاثة يفترض أن تعرفها من نفسك، فالإمامة المسيطرة في العالم الآن تقود الإنسان لبناء عالم بديل يتوافق مع أي شيء يشتهيه الإنسان، بطبيعة الحال في داخل هذه الشهوات يوجد هنالك صراع بعض الشهوات تغلب بعض، بعض الشهوات تفضّل على بعض، لكن هذا هو الأساس، فالشهوات هي الأساس في مبدأ هذا العالم

الإنسان المؤمن يرى أنه هو في هذه الدنيا عابر سبيل وأن هذه الشهوات تربطه بهذه الدنيا وتلهيه عن الآخرة وتجعله بالتدريج ينسى أنه هو عبد لله وفي قبضة الله، وأن الله لم يخلقه عبثا بل خلقه في أحسن تقويم، فهذا المسار ينسيه هذا الشيء، بينما المطلوب من الإنسان أن يبحث ويتمنى عالما بديلا متناسبا مع المبادئ التي تطرحها إمامة الأئمة (ع)

هنا أطرح عليك سؤالا مباشرا، نفترض أن الله تعالى أعطاك الإمكانية، أعطاك القدرة على أن تصنع عالما كما تشاء –أنت خليفة الله في الأرض– فكيف تريد أن يكون شكل هذا العالم؟، قطعا هذا افتراض فلا يستطيع الإنسان أن يجعل العالم كما هو يشاء ويريد والله لم يخلق العالم كذلك، بل هذا مرتبط بذهنك ففي قرارة نفسك ماذا تأمل ماذا تحب وماذا تبغض؟ تشتهي أشياء فهل تحبها ولا تتجاوزها؟ أم تشتهي أشياء وممكن نتيجة هذه الشهوة تفعلها لكن في نفس الوقت تبغضها لا تحبها، هل هكذا يكون؟ هذا الحب وهذا البغض هل يشكلان في داخل نفسك شجرة واحدة أم أشياء مبعثرة؟

راجع نفسك وحاسبها، ما هي الصورة البديلة للعالم الذي ترغب فيه، أنت تملك نفسك، كل ما كانت التفاصيل في ذهنك لهذا العالم أدق كانت بصيرتك وعلمك أفضل، وتستطيع أن تربط الأشياء بعضها ببعض، مثلا أحب وأريد عالما بلا فقر، هل هذا شيء جيد أم لا؟ إذا أردت أن تكون عاقلا فهذا السؤال أبتر، فالتساؤل يفترض أن لا ينتهي، فهنا تتساءل كيف الفقر يزول؟ هل بتطوير الحياة أكثر الفقر يزول أم الفقر يزداد؟ هنا تتساءل هل الفقر الموجود –على الأكثر– هو الفقر الكاذب الخادع أم الفقر الحقيقي الناتج عن الحاجة الحقيقية؟ فالقضايا

[٤] الكامل في التاريخ (٢١٣/٣)

تترابط إلى أن تصبح شجرة واحدة فيصبح لك نورك كأنك في النهار تبصر الأشياء على حقيقتها، فكر في هذا الاتجاه

إذا فكرت بهذه الطريقة أنت بحاجة –بشكل طبيعي– إلى ولاية رسول الله (ص) ولاية الأئمة (ع) لأن هناك ولايتان دعوتان إمامتان اتجاهان، في عهد أمير المؤمنين (ع) كانتا موجودتين فالمسألة لم تكن هي مسألة أشخاص وإنما هي مسألة ولايتان اتجاهان طريقتان دينان، كانت الولايتان تتقاتلان، ولاية أمير المؤمنين والولاية الأخرى التي كانت تكفّر ولاية أمير المؤمنين (ع) وتكذبه (ع)، أمير المؤمنين (ع) كان يرى أنها ولاية ضالة وكذلك أصحابه كانوا يرونها كذلك كعمار (رض) (قاتلتها مع رسول الله (ص) ثلاث مرات وهذه الرابعة، ما هي بخيرِهن ولا أبرّهن بل هي شرُّهُن وأفجرُهُن)[٥]، كم نحن نعرف الفرق بين هاتين الولايتين؟

الولاية الأخرى كانت تقود المسلمين إلى ذلك العالم، عالم الشهوات، قطعا ذلك العالم كان يختلف عن العالم الذي كانت ولاية أمير المؤمنين (ع) تريد أن تقود الناس إليه، ما هو الفرق بين هذين العالمين؟ فالمسألة ليست هي مسألة ألفاظ نحن نكررها ونخدع وننخدع بها وإنما هي رؤية وطريقة وسلوك

أنت بحاجة إلى أن تميز بين هاتين الولايتين وهذين الاتجاهين، يجب أن تفرق بين هدف الولاية الأخرى وهدف رسول الله (ص) هدف أمير المؤمنين هدف الأنبياء هدف الحسين وهدف ابنه الأمل المنتظر عليهم السلام، هنالك المسائل تترابط فتصبح أنت على بصيرة، إذا ملكت نفسك عرفت دينك عرفت إمامك عرفت اتجاهك عرفت هدفك لا يضرك أي شيء يحصل، هنالك يحصل فيك تولي وتبري فتعرف الأشخاص لا بأشكالهم وظاهرهم فالمسألة هي ليست (تِلكَ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ)[٦]

في رواية أتى شخص لأمير المؤمنين (ع) أبهرته الأشكال والمظاهر (يا حارث إنك نظرت تحتك إنك لم تعرف الحق فتعرف أهله)[٧]، أنت تأثرت بالمظاهر بالأشكال تأثرت بالمظاهر لم يكن لك نور (اعرف الحق تعرف أهله)[٨] لابد أن يكون لك نور وبصيرة لابد أن يكون لك مقياس وبهذا المقياس تستطيع أن تعرف من هو على ضلال ومن

---

[٥] (وقعة صفين: ٣٢١)

[٦] (النجم: ٢٣)

[٧] نهج البلاغة (الحكمة: ٢٦٣)

[٨] وسائل الشيعة (١٣٥/٢٧)

هو على هدى، لأنه لا يمكن أن يكون هناك إنسان عادي كل حياته على هدى أو كل حياته على ضلال، حتى الضال في حياته يوجد شيء من الهدى، إذا كانت لك بصيرة تستطيع أن تفرّق

إذن هذه فرصة، اجعلها فرصة لعمرك بينك وبين نفسك، اطرح هذا التساؤل على نفسك: ما هو العالم البديل الذي أنت تريده والإمام الحجة (عج) يريده والله تبارك وتعالى بعث الأنبياء لتحقيقه؟ ذلك العالم ما هي معالمه؟ ثم هل ولاية أمير المؤمنين (ع) التي تنادي بها أعطتك رؤية؟ كم نفعتك في تحديد معالم هذا العالم البديل؟ شجرتان شجرة طيبة وشجرة خبيثة، فالله خاطبك (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ)[9]، (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ)[10]، حروب أمير المؤمنين (ع) انتهت باستشهاده، في الواقع هذه الحروب الظاهرية انتهت لكن هل الحرب بين الدعوتين انتهت أم لازالت مستمرة؟ في قرارة نفسك لابد أن تعرف الدعوتين وتفرق بينهما، هاتان الدعوتان هما اللتان ستتجسدان بظهور الإمام الحجة (عج)، صيحتان صيحة حق وصيحة باطل، ولا يؤمن بصيحة الحق إلا من كان يعرفها من الأول

كل لحظة من لحظات حياتنا لها قيمة فلنستغلها (اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك)[11]، وفي رواية أخرى (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه...)[12]، فنتساءل أين نحن؟ لا يغوينك الشيطان لا يضلنك الذين جندوا جنودهم في كل شيء، إن شاء الله يكون لنا ميلاد أمير المؤمنين (ع) باب إنقاذ ننتظر الفرج البديل العالم البديل الإمامة البديلة للإمامة الضالة وأن نعرف الولاية الهادية

والحمد لله رب العالمين

---

[9] (النساء: ١٣٥)

[10] (البقرة: ١٤٣)

[11] بحار الأنوار (١٧٨/٧٨) نقلا عن دعوات الراوندي

[12] الخصال (٢٥٣)